

الدرس الرابع عشر: مسائل مهمة (٢/٢)

عناصر الدرس:

- ١: مقاصد إرسال الرسل.
- حكم أهل الفترة.
- ٢: أول الرسل وآخرهم.
- ٣: معنى الطاغوت.
- ٤: رؤوس الطواغيت.
- ٥: (لا إكراه في الدين).
- ٦: العروة الوثقى.
- ٧: رأس الأمر الإسلام.

قال رحمه الله : (وَأَرْسَلَ اللَّهُ جَمِيعَ الرُّسُلِ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ .
وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ
الرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥].
وَأَوَّلُهُمْ نُوحٌ وَآخِرُهُمْ مُحَمَّدٌ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَهُوَ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ، لَا نَبِيَّ
بَعْدَهُ.
وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ
النَّبِيِّينَ﴾ [الأحزاب: ٤٠].
وَالدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ نُوحًا أَوَّلَ الرُّسُلِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ
وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ﴾ [النساء: ١٦٣].
وَكُلُّ أُمَّةٍ بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْهَا رَسُولًا مِنْ نُوحٍ إِلَى مُحَمَّدٍ - عَلَيْهِمَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ
- يَأْمُرُهُمْ بِعِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ، وَيَنْهَاهُمْ عَنْ عِبَادَةِ الطَّاغُوتِ.

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾
[النحل: ٣٦].

وَأَفْتَرَضَ اللَّهُ عَلَى جَمِيعِ الْعِبَادِ الْكُفْرَ بِالطَّاغُوتِ وَالْإِيمَانَ بِاللَّهِ.
قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: (وَمَعْنَى الطَّاغُوتِ: مَا تَجَاوَزَ بِهِ الْعَبْدُ حَدَّهُ، مِنْ
مَعْبُودٍ، أَوْ مَتَّبُوعٍ، أَوْ مُطَاعٍ).

وَالطَّاغُوتُ كَثِيرُونَ، وَرُؤُوسُهُمْ خَمْسَةٌ:

- إِبْلِيسُ لَعَنَهُ اللَّهُ.
- وَمَنْ عُبِدَ وَهُوَ رَاضٍ.
- وَمَنْ ادَّعَى شَيْئًا مِنْ عِلْمِ الْغَيْبِ.
- وَمَنْ دَعَا النَّاسَ إِلَى عِبَادَةِ نَفْسِهِ.
- وَمَنْ حَكَمَ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ.

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ
وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٢٥٦].
وَهَذَا هُوَ مَعْنَى (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) وَفِي الْحَدِيثِ: «رَأْسُ الْأَمْرِ الْإِسْلَامُ، وَعَمُودُهُ
الصَّلَاةُ، وَدُرُوءُهُ سَنَامُهُ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ».
وَاللَّهُ أَعْلَمُ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

□ قوله: (وَأَرْسَلَ اللَّهُ جَمِيعَ الرُّسُلِ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ).

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ
الرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥].

وَأَوَّلُهُمْ نُوحٌ وَآخِرُهُمْ مُحَمَّدٌ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَهُوَ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ، لَا نَبِيَّ
بَعْدَهُ.

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ
النَّبِيِّينَ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

وَالدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ نُوحًا أَوَّلُ الرُّسُلِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ﴾ [النساء: ١٦٣].

□ ١: مقاصد إرسال الرسل.

أرسل الله تعالى الرسل لحكم ثلاثة جمعها الله تعالى في قوله تعالى: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِنَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ وقوله: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾

وتلخص منها أن مقاصد إرسال الرسل ثلاثة:

المقصد الأول: إقامة الحجة على العباد ببعثة الرسل وإنزال الكتب.

المقصد الثاني: تبشير من يطيع الله ورسله.

المقصد الثالث: إنذار العصاة.

وهذه المقاصد يُجمع بعضها في بعض المواضع ويفرد بعضها، وكل مقصد منها إذا أفرد فهو دال على غيره.

- فإقامة الحجة تتضمن البشارة والندارة.

- والبشارة إذا أفردت فمن لم يحقق شروطها فهو خاسر، وفي هذا حجة وندارة.

- وكذلك الندارة فإن من اجتنب ما أنذر عليه فهو آمن من العذاب المندر به وفي هذا حجة وبشارة.

ولذلك ربما أفردت بعض المقاصد في بعض المواضع دون بعض.

وفهم هذا يزيل ما قد يُستشكل من اختلاف وصف الحصر في بعض الآيات كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا نَرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ في موضعين، ولم يذكر إقامة الحجة لفظاً لأنه لازم معنى من وعد البشارة والوعيد على الندارة.

وقوله: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ﴾، وقوله: ﴿إِنْ يُوحَىٰ إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾

وكذلك شهادة كل رسول على أمته هي قائمة على هذه الأمور الثلاثة كما في قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾، وقوله: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ (٤٥) وداعياً إلى الله يَؤِذِنُهُ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾

فدعوة الرسل متضمنة لبيان الأوامر والنواهي وما يترتب عليها من البشارة والنذارة، وبيانهم ودعوتهم هي إقامة الحجة على من أرسلوا إليهم، وشهادتهم عليهم يوم القيامة هي من مقتضى إقامة الحجة لأنهم يشهدون عليهم بما أجابوهم به.

- **فأما المقصد الأول: وهو إقامة الحجة** فإن الله عز وجل بين أنه لا يظلم أحداً مثقال ذرة، وأنه لا يعذب أحداً قبل أن يرسل إليه رسولاً كما قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾

وقال تعالى: ﴿ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ﴾

غافلون: أي غير عارفين بما يجب عليهم مما أوجبه الله من الإيمان به واتباع رسله. وقال الشنقيطي رحمه: (قوله تعالى: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ الآية، لم يبين هنا ما هذه الحجة التي كانت تكون للناس عليه لو عذبهم دون إنذارهم على السنة الرسل، ولكنه بينها في سورة طه بقوله: ﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَى﴾، وأشار لها في سورة القصص بقوله: ﴿وَلَوْلَا أَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾).

وقد بين الله تعالى أن كل من يدخل النار من الكفار فقد قامت عليهم الحجة بإرسال الرسل وعرفوا ما وجب عليهم وما أنذروا به لكنهم كذبوا واستكبروا أو اتبعوا المستكبرين كما قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبُشِّرَ الْمَصِيرُ﴾ (٦) إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ (٧) تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ (٨) قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا

فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ (٩) وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ (١٠) فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿

فاعترفوا بذنبهم وأقروا بحجة عليهم ولم يجدوا إلا لوم أنفسهم فقالوا: ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾

وقال تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَتَحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾

وقال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ (٣١) قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ (٣٢) وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَثَدًا وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾

فهؤلاء المستضعفون لم ينكروا أن الهدى قد جاءهم، وعرفوا أنهم كانوا مجرمين بعصيانهم للرسول وكفرهم بالله جل وعلا، ولذلك ندموا حين لا تنفعهم الندامة.

وقال تعالى مبيناً ما يقوله للكفار من الإنس والجن يوم يحشرهم: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنْفُسِنَا وَغَرَّتْهُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ (١٣٠) ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ (١٣١)﴾

قال ابن جرير رحمه الله: (فقطع حجة كل مبطل الحد في توحيده وخالف أمره بجميع معاني الحجج الفاطعة عذره، إعداراً منه بذلك إليهم، لتكون لله الحجة البالغة عليهم وعلى جميع خلقه).

وفي الصحيحين من حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا أحد أحب إليه العذر من الله، ومن أجل ذلك بعث المبشرين والمنذرين». فالحجة تقوم على الخلق بإرسال الرسل؛ فما جاء به الرسل فهو لازم للناس، ومن خالفهم بأي حجة يتحجج بها فحجته داحضة باطلة.

وهذا أصل مهم من أصول أهل السنة، وقد خالف فيه وفي بعض تفاصيله طوائف من أهل البدع وأشهرهم طائفتان:

الطائفة الأولى: بعض المتكلمين - أصحاب علم الكلام - الذين زعموا أن الحجة قائمة بالعقل والفطرة، وأن الخلق لو عُدِّبوا دون إرسال الرسل لكان ذلك عدلاً. ومن هؤلاء من يقول: إن تعارض العقل والنقل كان الواجب تقديم العقل. **والطائفة الأخرى:** بعض غلاة المتصوفة الذين زعموا أنهم يأخذون بالإلهام عن ربهم مباشرة دون واسطة رسول، ومنهم من يقول: حدثني قلبي عن ربي. وكل من زعم أنه يسعه الخروج عن طاعة الرسول فهو كافر.

- المقصد الثاني: البشارة

قال الله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا﴾، ويَبَيِّن هذا الفضل الكبير بقوله: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾
فقوله: ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾

يتضمن ثلاثة أمور:

الأمر الأول: البشارة لمن اتصف بالإيمان بالفضل الكبير في جنات النعيم.
الأمر الثاني: النذارة لمن لم يتصف بالإيمان؛ فإن البشارة لا تناله، ومن حرم ثواب البشارة فهو خاسر.

الأمر الثالث: أن معرفة الإيمان إنما تنال عن طريق الرسول الذي بلغهم البشارة، فهم لا يعرفون كيف يؤمنون إلا من طريقه.

فتبين أن هذه المقاصد يدل بعضها على بعض، وأن القرآن يصدق بعضه بعضها، وأن العبارة الواحدة تدل على معان كثيرة يصدق بعضها بعضاً.

- المقصد الثالث: الإنذار

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (١) قُمْ فَأَنْذِرْ (٢)﴾

وقال تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾

وهذه النذارة على درجتين:

الدرجة الأولى: النذارة للكفار بالخلود في النار وتحريم الجنة عليهم أبداً، كما قال تعالى: ﴿وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نُجِيبْ دَعْوَتَكَ وَتَتَّبِعِ الرُّسُلَ أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلِ مَا لَكُم مِّنْ زَوَالٍ﴾

الدرجة الثانية: إنذار العصاة بما عليهم من العذاب، وقد أُنذر النبي صلى الله عليه وسلم أمته من الذنوب كبيرها وصغيرها، وخص الكبائر بمزيد تحذير وإنذار وبين عقوبة بعضها، فمن ارتكبها بعدما بلغه العلم فهو مستحق للعقاب، والعياذ بالله. نسأل الله تعالى أن يتجاوز عن سيئاتنا وتقصيرنا، وأن يغفر لنا ويرحمنا ويهدينا إليه صراطاً مستقيماً.

- حكم أهل الفترة

من المسائل المتصلة بهذا المبحث ما يعرف بمسألة حكم أهل الفترة. وهذه المسألة قد أفاض فيها أهل العلم، ومنها مسائل متفق عليها، ومسائل مختلف فيها، وقبل بحث هذه المسألة ينبغي التذكير بأصلين مهمين:

• **الأصل الأول:** أن كل أمة قد بعث فيها نذير كما دل عليه قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾، وقوله: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾

وهذا العموم الوارد في الأمم لا يعارضه وجود أفراد لم تبلغهم الرسالة لأسباب عارضة اقتضتها حكمة الله تعالى.

• **الأصل الثاني:** أن الله تعالى قد اقتضى عدله ألا يعذب أحداً لم تقم عليه الحجة الرسالية كما قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾

وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار».

دل الحديث بمنطوقه على أن من بلغته الحجة ولم يؤمن فهو من أهل النار، ودل بمفهومه على أن من لم تبلغه الحجة الرسالية فلا يقع عليه هذا الوعيد.

- واسم هذه المسألة وهو حكم أهل الفترة أخذ من قوله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾

والمقصود بالفترة انقطاع إرسال الرسل مدة طويلة من الزمن.

= قال ابن جرير: (﴿على فترة من الرسل﴾ يقول: على انقطاع من الرسل، و"الفترة" في هذا الموضع: الانقطاع؛ يقول: قد جاءكم رسولنا يبين لكم الحق والهدى، على انقطاع من الرسل.

و"الفترة": الفعل، من قول القائل: "فتر هذا الأمر يفتر فتوراً"، وذلك إذا هداً وسكن. وكذلك "الفترة" في هذا الموضع، معناها: السكون، يراد به سكون مجيء الرسل، وذلك انقطاعها). ١.هـ.

= وقال أبو المظفر السمعاني: (وإنما سماه زمان الفترة، لأن الرسل كانوا بعد موسى تترى من غير انقطاع، ولم يكن بعد عيسى رسول سوى محمد).

= وقال ابن حجر: (وزمان الفترة هو ما بين الرسولين من المدة التي لا وحي فيها).
 = وقال عامة المفسرين في هذه الآية بنحو ما قاله ابن جرير، بل نقل بعضهم الإجماع عليه.
وأهل الفترة الكبرى هم من مات في الزمن الذي بين رفع عيسى عليه السلام وبعثة محمد صلى الله عليه وسلم.

لكن مما ينبغي التنبيه له أن كون المرء من أهل الفترة لا يقتضي ذلك الحكم بكفره ولا إسلامه، والتفصيل في شأنهم أنهم على ثلاثة أقسام:

– قسم مسلمون متبعون لما بلغهم من الهدى بشريعة سابقة، ومنهم من شهد له النبي صلى الله عليه وسلم بخير كزيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل.

– وقسم كفار كذبوا الرسل وقامت عليهم الحجة من دعوة بلغتهم بطريق صحيح، وعلى هذا القسم تحمل الأحاديث الواردة في الحكم على بعض الكفار الذين ماتوا في الفترة بالنار.

– وقسم لم تبلغهم الدعوة فهؤلاء هم الذين وردت فيهم أحاديث الامتحان، وقد روي في مسألة الامتحان نحو سبعة أحاديث ثلاثة منها صحيحة والأخرى في طرقها ضعف.
 فأما الثلاثة الصحيحة فحديث عن الأسود بن سريع رضي الله عنه، وحديثان عن أبي هريرة رضي الله عنه أحدهما مرفوع، والآخر موقوف له حكم الرفع.

فأما الحديث الأول: فهو ما رواه معاذ بن هشام الدستوائي عن أبيه عن قتادة عن الأحنف بن قيس عن الأسود بن سريع رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أربعة يحتجون يوم القيامة؛ رجل أصم، ورجل هرم، ورجل أحمق، ورجل مات في الفترة؛

- فأما الأصم فيقول: رب لقد جاء الإسلام ولم أسمع شيئاً.
- وأما الأحمق فيقول: رب لقد جاء الإسلام والصبيان يحذفوني بالبعر.
- وأما الهرم فيقول: رب لقد جاء الإسلام وما أعقل.

- وأما الذي مات في الفترة فيقول : رب ما أتاني لك رسول.

فيأخذ موأثيقهم ليطيعنه ؛ فيرسل إليهم رسولاً أن ادخلوا النار».

قال : «فوالذي نفسي بيده لو دخلوها كانت عليهم برداً وسلاماً».

أخرجه : الإمام أحمد ، وإسحاق بن راهويه ، ومحمد بن نصر المروزي في الرد على ابن قتيبة ، والبخاري ، وابن حبان ، وأبو نعيم الأصبهاني ، والطبراني ، والضياء المقدسي ، وابن حزم في الإحكام ، والبيهقي في الاعتقاد كلهم من طريق معاذ بن هشام به.

وأما الحديث الثاني : فهو ما رواه الإمام أحمد ، ومحمد بن نصر المروزي في الرد على ابن قتيبة ، وابن حزم في الإحكام ، والبيهقي في الاعتقاد من طريق معاذ بن هشام الدستوائي عن أبيه عن قتادة عن الحسن عن أبي رافع عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً نحوه إلا أنه قال في آخره : «فمن دخلها كانت عليه برداً وسلاماً ، ومن لم يدخلها يسحب إليها».

قال البيهقي : (وهذا إسناد صحيح).

والحديث صححه الألباني.

وأما الحديث الثالث : فهو ما رواه عبد الرزاق عن معمر عن عبد الله بن طاوس ، عن أبيه ، عن أبي هريرة قال : (إذا كان يوم القيامة جمع الله أهل الفترة والمعنوه والأصم والأبكم والشيوخ الذين لم يدركوا الإسلام ثم أرسل إليهم رسولاً أن ادخلوا النار).

قال : فيقولون : كيف ولم يأتنا رسول ؟

قال : (وايم الله لو دخلوها لكانت عليهم برداً وسلاماً).

ثم يرسل إليهم فيطيعه من كان يريد أن يطيعه.

قال : ثم قال أبو هريرة : (اقرأوا إن شئتم : ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً﴾).

وهذا إسناد صحيح إلى أبي هريرة رضي الله عنه موقوفاً عليه ، ومثله لا يقال بالرأي ، وقد رواه من هذا الطريق محمد بن نصر المروزي في الرد على ابن قتيبة.

قال ابن القيم : (غاية ما يُقدَّر فيه أنه موقوف على الصحابي ومثل هذا لا يقدم عليه الصحابي بالرأي والاجتهاد بل يجزم بأن ذلك توقيف لا عن رأي).

وقد صحت الرواية بمعناه عن أبي هريرة مرفوعاً من طريق آخر كما تقدم.

وروي في هذا المعنى أحاديث أخرى عن أنس وثنوبان وأبي سعيد الخدري ومعاذ بن جبل رضي الله عنهم وفي طرقها كلها ضعف.

قال ابن القيم: (هذه الأحاديث يشد بعضها بعضاً فإنها قد تعددت طرقها واختلفت مخارجها فيبعد كل البعد أن تكون باطلة على رسول الله لم يتكلم بها وقد رواها أئمة الإسلام ودونوها ولم يطعنوا فيها).

ومن صحَّح مسألة الامتحان: ابن حزم في الإحكام، والبيهقي في الاعتقاد، وعبد الحق الأشيلي في الغاية، وابن تيمية، وابن القيم، وابن كثير، وابن حجر، والألباني.

واحتج بها محمد بن نصر المروزي في الرد على ابن قتيبة.

ومما ينبغي معرفته أن هذه المسألة ألحقَ بها من مات ولم تبلغه الدعوة وإن لم يكن من أهل الفترة المذكورة كأطفال المشركين ومجانينهم وكذلك من بلغته الدعوة على حال لا تقوم بها الحجة كالكبير المخرف والأصم ومن في حكمهم.

❏ فالذي لا تبلغه الدعوة بوجه تقوم به عليه الحجة الرسالية فله حكم أهل الفترة، على ما سبق بيانه، والله تعالى أعلم.

❑ ٢: أول الرسل وآخرهم

❑ قوله: (وَأَوَّلُهُمْ نُوحٌ وَآخِرُهُمْ مُحَمَّدٌ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَهُوَ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ، لَا نَبِيَّ بَعْدَهُ).

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

وَالدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ نُوحًا أَوَّلُ الرُّسُلِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ﴾ [النساء: ١٦٣].

ويدل لذلك صراحة ما في الصحيحين من حديث أبي هريرة المسمى بحديث الشفاعة ، وفيه أن أهل الموقف يوم القيامة يأتون نوحاً فيقولون يا نوح أنت أول الرسل إلى أهل الأرض .
وآدم عليه السلام كان نبياً مكلفاً ولم يكن رسولاً كما دل على ذلك ما رواه ابن أبي حاتم وابن حبان والحاكم والبيهقي في الأسماء والصفات وغيرهم من طريق معاوية بن سلام عن أخيه زيد عن أبي سلام قال : حدثني أبو أمامة رضي الله عنه أن رجلاً قال : يا رسول الله أنبي كان آدم؟

قال : «نعم ، معلّمٌ مُكَلَّمٌ». قال : كم بينه وبين نوح؟

قال : «عشرة قرون». قال : كم كان بين نوح وإبراهيم؟

قال : «عشرة قرون»

قالوا : يا رسول الله كم كانت الرسل؟

قال : «ثلاث مائة وخمسة عشر جمّاً غفيراً».

والحديث صححه الحاكم ، وقال الذهبي : على شرط مسلم ، وصححه الألباني .

وهذه القرون العشرة كان أهلها على التوحيد حتى نشأ الشرك في قوم نوح عليه السلام
كما قال الله تعالى : ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ أي على دين الإسلام ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ﴾ وقال : ﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا﴾

قال ابن عباس رضي الله عنهما : (كان بين نوح و آدم عشرة قرون كلهم على شريعة من الحق فاختلّفوا فبعث الله النبيين مبشرين و منذرين)

قال : (وكذلك هي في قراءة عبد الله : (كان الناس أمة واحدة فاختلّفوا)).

رواه ابن جرير وابن أبي حاتم والحاكم وصححه وقال: على شرط البخاري، ووافقه الذهبي.

والحديث صححه الألباني وقال: (فإنه وإن كان موقوفاً رواية؛ فهو مرفوع دراية؛ فإنه في تفسير قوله تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾، وبخاصة أنه من رواية ترجمان القرآن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، وفيه ما يؤكد رفعه، وهو قوله: (وكذلك هي في قراءة عبد الله.. "يعني: عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

وفيه فائدة هامة؛ وهي أن الناس كانوا في أول عهدهم أمة واحدة على التوحيد الخالص، ثم طرأ عليهم الشرك، خلافاً لقول بعض الفلاسفة والملاحدة؛ أن الأصل فيهم الشرك ثم طرأ عليهم التوحيد!

ويطل قولهم هذا الحديث وغيره مما هو نص في نبوة أبيهم آدم عليه السلام، إلى أدلة أخرى كنت ذكرت بعضها في كتابي "تحذير الساجد" (ص ١٤٧ - ١٥٠)، فراجعه فإنه مهم) ١هـ.

□ قوله: (وَأَخْرَهُمْ مُحَمَّدٌ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَهُوَ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ، لَا نَبِيَّ بَعْدَهُ).

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

هذه الآية تدل دلالة صريحة على أن نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين فلا نبي بعده، وقد صح من حديث أنس المتقدم في دروس سابقة أن النبوة والرسالة ختمت بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم.

فكل من ادعى النبوة بعد النبي صلى الله عليه وسلم فهو كاذب، ومدّعي النبوة كافر بالإجماع.

٣: الكفر بالطاغوت

- معنى الطاغوت

□ قوله: (وَكُلُّ أُمَّةٍ بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْهَا رَسُولًا مِنْ نُوحٍ إِلَى مُحَمَّدٍ - عَلَيْهِمَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- يَأْمُرُهُمْ بِعِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ، وَيَنْهَاهُمْ عَنْ عِبَادَةِ الطَّاغُوتِ. وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

وافتترض الله على جميع العباد الكفر بالطاغوت والإيمان بالله).

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾

صريح الدلالة على أن كل أمة قد بعث فيها رسول يأمرهم بعبادة الله تعالى وحده واجتناب الطاغوت، وأن دعوة الرسل كلهم إلى الإسلام الذي هو إفرا د الله تعالى بالعبادة. وهذه الرسالة إلى كل أمة، لم تخل منها أمة من الأمم كما دل على العموم قوله: ﴿فِي كُلِّ أُمَّةٍ﴾، وقال تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾، وقال تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ﴾ والنبى صلى الله عليه وسلم جاءت رسالته إلى الناس جميعاً فرسالته أعم الرسالات. وهذا العموم في البعث إلى جميع الأمم لا يعارضه وجود أفراد من تلك الأمم لم تبلغهم الدعوة كما سبق بيانه، وبيان الأدلة على هذه المسائل.

وأما تحديد عدد هذه الأمم ففيه حديث بهز بن حكيم عن أبيه عن جده رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «أنتم تتمون سبعين أمة، أنتم خيرها وأكرمها على الله». رواه ابن المبارك في الزهد، وعبد الرزاق في تفسيره، وأحمد في فضائل الصحابة، والترمذي وابن ماجة في سننهما، والحاكم في المستدرک، وغيرهم.

قال ابن حجر في الفتاح: (وهو حديث حسن صحيح)

وذكر له شاهداً عن علي في المسند مرفوعاً بسند حسن، وأثراً عن قتادة في تفسير الطبري رجاله ثقات.

والحديث حسنه الألباني.

□ قوله: (قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - : (وَمَعْنَى الطَّاعُوتِ: مَا تَجَاوَزَ بِهِ الْعَبْدُ حُدَّهُ، مِنْ مَعْبُودٍ، أَوْ مَتَّبُوعٍ، أَوْ مُطَاعٍ).

الطاغوت: فَعَلُّوتٌ مِنَ الطَّغْيَانِ.

أصله طَغَوْتُ، كما يقال: مَلَكُوتٌ، وجَبْرُوتٌ، وهذا البناء تستعمله العرب للمبالغة الكبيرة التي لا أبلغ منها.

والطغيان هو: مجاوزة الحد.

يقال: رجل طاغٍ، إذا جاوز حدّه، وأسرف في الظلم.

ويقال: رجل طاغية، على سبيل المبالغة، وصفاً لعظيم ظلمه وطغيانه ومجاوزته للحد.

ويقال: طاغوت، على سبيل المبالغة العظيمة أي أنه بلغ الغاية في الطغيان.

ويطلق لفظ الطاغوت على الواحد والجماعة، وعلى المذكر والمؤنث

قال الواحدي: (الطاغوت يكون واحداً وجمعاً، ويؤنث ويذكر:

- قال الله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ﴾؛ فهذا في الواحد.

- وقال تعالى في الجمع: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ﴾.

- وقال في المؤنث: ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا﴾.

التأنيث في قوله تعالى ﴿اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا﴾ هو للأوثان، وهي جماعة تؤنث لفظاً.

قال تعالى: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ﴾.

والطاغوت يجمع على طواغيت.

والطواغي جمع طاغية.

وفي صحيح مسلم من حديث عبد الرحمن بن سمرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله

عليه وسلم قال: «لا تحلفوا بالطواغي ولا بأبائكم».

والمراد بالطواغي في هذا الحديث الأوثان التي تعبد من دون الله عز وجل.

وقد بَوَّب البخاري في صحيحه باب (لا يُحلف باللات والعزى ولا بالطواغيت) وفي الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها أنها قالت: (كان الأنصار قبل أن يسلموا يهلُّون لمناة الطاغية التي كانوا يعبدون عند المشلل).

قال النووي: (ومناة: صَنَمٌ كان نصبه عمرو بن لحي في جهة البحر بالمشلل ممَّا يلي قديداً). والمشلل: ثنية مشرفة على قُديد، وهو شمال جدة قريب من عسفان. وفي صحيح البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: (سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «لا تقوم الساعة حتى تضطرب أليات نساء دوس على ذي الخلصة»).

وذو الخلصة طاغية دوس التي كانوا يعبدون في الجاهلية). قوله: (وذو الخلصة طاغية دوس...) هذا مدرج من كلام أبي هريرة رضي الله عنه. وفي هذا دليل على أن الشرك سيعود في هذه الأمة، وقد جاء بيان توقيت ذلك في صحيح مسلم من حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا يذهب الليل والنهار حتى تُعبد اللات والعزى».

فقالت عائشة: (يا رسول الله، إن كنت لأظن حين أنزل الله: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ أن ذلك تاماً. قال: «إنه سيكون من ذلك ما شاء الله، ثم يبعث الله رجلاً طيبة، فتوقى كل من في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان؛ فيبقى من لا خير فيه؛ فيرجعون إلى دين آبائهم».

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يجمع الله الناس يوم القيامة فيقول: من كان يعبد شيئاً فليتبعه؛ فيتبع من كان يعبد الشمس، ويتبع من كان يعبد القمر القمر، ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت».

وهذا الاتباع يكون إلى نار جهنم والعياذ بالله؛ فإن هذه الطواغيت وكذلك الشمس والقمر يؤمر بها فتلقى في نار جهنم هي ومن يتبعها، ويلقون في النار إلقاءً عنيفاً شديداً كما قال تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ﴾

الحَصَبُ: هو ما يُحَصَّب به، أي يحذف ويُرمى، ومنه سميت الحصباء لأنها حجارة يُحصب بها، ويقال: حَصَبْتَهُ بحصاة، إذا حذفته بها.

والْحَصَبُ: هو الشيء الذي يُحَصَّب به من حجارة أو غيرها؛ فجعل الله تعالى المشركين وما يعبدون من الطواغيت حَصَبَ جهنم، والعياذ بالله، قال ابن جرير: (معناه أنهم تقذف جهنم بهم، ويرمى بهم فيها).

والمقصود أن أكثر ما يطلق لفظ الطاغوت في نصوص الكتاب والسنة على ما يُعبد من دون الله عز وجل.

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادَ﴾

وقال: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ﴾.

قال ابن وهب: قال لي مالك: (الطاغوت: ما يعبدون من دون الله).

وقد نقل عن السلف عبارات في تفسير الطاغوت لا تخالف ما سبق تقريره لكنها إما لبيان أصل الطاغوت، أو التنبيه على بعض أنواعه.

- فروي عن عمر بن الخطاب ومجاهد والشعبي: أن الطاغوت هو الشيطان.
- وروي عن محمد بن سيرين أن الطاغوت هو الساحر، وهي إحدى الروايتين عن أبي العالية الرياحي، وهذا بيان لنوع من أنواع الطواغيت.
- وروي عن سعيد بن جبير أن الطاغوت هو الكاهن، وهي الرواية الأخرى عن أبي العالية الرياحي، وهذا بيان لنوع من أنواع الطواغيت.
- قال ابن جرير: (والصواب من القول عندي في "**الطاغوت**"، أنه كل ذي طغيان على الله، فعُبد من دونه، إما بقهر منه لمن عبده، وإما بطاعة ممن عبده له، وإنسانا كان ذلك المعبود، أو شيطانا، أو وثنا، أو صنما، أو كائنا ما كان من شيء).
- وهذا يدل عليه قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادَ﴾.

ففسر اجتناب الطاغوت في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ باجتناب عبادتها، فدل على أن الطاغوت هو ما يُعبد من دون الله عز وجل، مهما كان نوع تلك العبادة، فقد تكون دعاء وذبحاً ونذراً، وقد تكون تحاكماً والتجاءً، وقد تكون طاعة في تحليل ما حرم الله وتحريم ما أحل الله.

وأنت إذا تأملت هذه الأمور وجدت جامعها عبادة الشيطان، ولذلك قال ابن كثير بعد ما أورد أثر عمر بن الخطاب في تفسير الطاغوت بأنه الشيطان: (ومعنى قوله في الطاغوت: إنه الشيطان قوي جداً فإنه يشمل كل شر كان عليه أهل الجاهلية، من عبادة الأوثان والتحاكم إليها والاستنصار بها).

وبيان ذلك: أن عبادة الأصنام هي في حقيقة الأمر عبادة للشيطان، وكذلك التحاكم إلى الكهان هو تحاكم إلى الشياطين؛ لأن الكهان إنما يتلقفون أباويلهم من الشياطين. قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (٦٠) وَأَنْ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ (٦١)﴾

وابن القيم رحمه الله تأمل هذه الأقوال والمعاني التي تجمعها، وأشهر الطواغيت التي عبدت من دون الله عز وجل، وأنواع عبادتها؛ فحاول أن يوجد تعريفاً جامعاً مانعاً فقال ما نقله الشيخ هنا:

(والطاغوت كل ما تجاوز به العبد حدّه من معبود أو متبوع أو مطاع) وهذا من كلامه في إعلام الموقعين، وقال في شرحه: (فطاغوت كل قوم من يتحاكمون إليه غير الله ورسوله، أو يعبدونه من دون الله، أو يتبعونه على غير بصيرة من الله، أو يطيعونه فيما لا يعلمون أنه طاعة لله؛ فهذه طواغيت العالم إذا تأملت وأتملت أحوال الناس معها رأيت أكثرهم ممن أعرض عن عبادة الله إلى عبادة الطاغوت، وعن التحاكم إلى الله وإلى الرسول إلى التحاكم إلى الطاغوت، وعن طاعته ومتابعة رسوله إلى الطاغوت ومتابعته، وهؤلاء لم يسلكوا طريق الناجين الفائزين من هذه الأمة وهم الصحابة ومن تبعهم ولا قصدوا قصدهم بل خالفوهم في الطريق والقصد معا).

□ قوله : (الطاغوت هو ما تجاوز به العبد حده من معبود)

عبر بهذا التعبير ليُخرج مَنْ عُبِدَ من دون الله عز وجلّ وهو غير راضٍ، كما عُبِدَت الملائكة وعُبدَ المسيح ابن مريم، وعبد عُزير، وغيرهم من الصالحين، حتى إن اللات قيل: إنه رجل صالح كان يَلْتُ السوق للحجاج يُطعمهم؛ فلَمَّا مات نُصِبَ له صنمٌ، وعُبدَ من دون الله عز وجلّ.

وهؤلاء الصالحين ليسوا بطواغيت.

وعند التحقيق نجد أنه لا حاجة إلى هذا الاحتراز في التعريف لأن اللبس فيه مأمون، وهؤلاء الصالحين قد عُبدوا ظلماً وزوراً لم يدعوا لعبادة أنفسهم، وإنما اتخذهم المشركون طواغيت، كما اتخذوهم آلهة وأرباباً، قال تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾

فاتخذهم أرباباً وآلهة هو في معنى اتخذهم طواغيت، وإلا فهم ليسوا بأرباب ولا آلهة ولا طواغيت.

وإنما وقعت المخاصمة في هؤلاء من كفار قريش لما نزل قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾.

وقد جعل الله تعالى في هذا الأمر فتنة للمشركين هي من مزيد إقامة الحجة عليهم فإنها دعيتهم للتفكير في ما بلغهم الرسول صلى الله عليه وسلم من آيات ربهم وعرفوا معانيها فقامت عليهم الحجة ولكنهم لم يؤمنوا بها ولم يستجيبوا لها ولم يحذروا مما أنذرهم الله عز وجل من العذاب الشديد في نار جهنم، بل قابلوا ذلك بالمجادلة بالباطل ظلماً وطغياناً وعناداً واستكباراً، ليغر بعضهم بعضاً بما استحسَنوه من زخرف القول.

ولو أنهم تفكروا في أنفسهم لعرفوا أن الله تعالى لا يكون في كلامه خطأ ولا قصور، ولا يكون في حكمه ظلم ولا جهل، لكنهم انصرفوا عما أمروا به من توحيد الله عز وجل إلى مخاصمة الله ورسوله واستمروا المحادة والمشاقة وفي هذا من سوء الأدب مع الله عز وجل

ومع رسوله ما يستحقون عليه العذاب الشديد ، وقد جعل الله هذا الأمر فتنة لهم ليظهر ما في نفوسهم من الكبر والطغيان.

روى الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : لما نزلت : ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ﴾

قال عبد الله بن الزبيري : أنا أخصم لكم محمداً.

فقال : يا محمد أليس فيما أنزل عليك : ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ﴾؟

قال : «نعم».

قال : فهذه النصارى تعبد عيسى ، وهذه اليهود تعبد عزيزاً ، وهذه بنو مليح تعبد الملائكة ؛ فهؤلاء في النار؟

فأنزل الله عز وجل : ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾.

ورواه الطحاوي في مشكل الآثار بزيادة ، وفيها أنه قال : فضج أهل مكة ؛ فنزلت ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ﴾ عيسى وعزيز والملائكة ﴿أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾.

قال : ونزلت ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُون﴾ وهو الضجيج). (يصدون) بكسر الصاد أي يضجّون.

قال الله تعالى : ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً﴾

قال الله تعالى : ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُونَ (٥٧) وَقَالُوا آلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾

الذي ضرب هذا المثل هو عبد الله بن الزبيري كما تقدّم ؛ فضج أهل مكة فرحاً بهذا المثل ، وقالوا : إذا كان عيسى ليس في النار ؛ فآلهتنا خير منه.

﴿آلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ﴾ استفهام إنكاري جوابه المتقرر عندهم أن آلهتهم خير منه ، حتى إنهم قدموا ذكر آلهتهم وأخروا ذكره ورمزوا له بالضمير تقييلاً من شأنه.

ونسب الضرب إليهم جميعاً فقال : ﴿مَا ضَرَبُوهُ﴾ لأنهم وافقوه على قوله ، وإن كان الضارب واحداً في الأصل ، لكن لما فرحوا بضرب هذا المثل نسب إليهم جميعاً.

وقول الله تعالى: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا﴾ دليل على أنهم يعلمون أنهم مبطلون لا حجة لهم، وإنما أرادوا الجدال والمخاصمة.

قال جماعة من أهل العلم باللغة والتفسير: قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ (ما) هي لغير العاقل، فالآية لا تشمل هؤلاء الصالحين بدلالة اللفظ أصلاً؛ لأن العرب تجرب عن غير العاقل بـ (ما) فيكون المراد بقوله: بما يعبدون من دون الله الأوثان من الأصنام والأحجار والأشجار.

وأما هؤلاء الصالحين فيخبر عنهم (بمن) وليس بـ (ما).

ولذلك قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ﴾ ولم يقل لها.

وقال في الأوثان: ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا﴾

فليس قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِّنَ الْحُسْنَىٰ...﴾ الآية استثناء من الآية التي قبلها، وإنما هو تقرير لحكم هؤلاء الصالحين الذين سبقت لهم الحسنى من الله تعالى أنهم مبعدون عن نار جهنم لا يسمعون حسيسها، وأنهم آمنون يوم القيامة من الفزع الأكبر الذي لا أكبر منه، وفي هذا تهديد لهؤلاء المشركين وإنذار وتخويف بأنهم إن لم يكفروا بالطاغوت ويؤمنوا بالله كانوا من المعذبين بذلك الفزع الأكبر وأنهم وما يعبدون من دون الله حصب جهنم، والعياذ بالله.

❖ وقول ابن القيم: (أو متبوع أو مطاع)

الاتباع والطاعة في معصية الله عز وجل على درجتين:

الدرجة الأولى: تكون فيما يخرج من الملة كاتباع الطواغيت في عبادة غير الله عز وجل بصرف شيء من العبادات لهم أو اتباعهم على تحليل الحرام وتحريم الحلال أو غير ذلك من نواقض الإسلام

فهؤلاء المتبوعون والمطاعون إما أن يكونوا هم المعبودين أو دعاة لهم وكلهم طواغيت بهذا المعنى.

الدرجة الثانية: الطاعة والاتباع في معصية الله تعالى بما لا يخرج عن دين الإسلام، كأن يكون داعية إلى بدعة عظيمة أو حاكماً كثير الظلم والطغيان فهؤلاء أطلق عليهم بعض السلف أنهم طواغيت وإن لم يحكم بخروجهم من الملة؛ فاستعملوا المعنى اللغوي للفظ الطاغوت، وهو الطغيان الكبير.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (والمطاع في معصية الله، والمطاع في اتباع غير الهدى ودين الحق - سواء كان مقبولاً خبره المخالف لكتاب الله أو مطاعاً أمره المخالف لأمر الله - هو طاغوت، ولهذا سُمِّيَ من تحوكم إليه من حاكم بغير كتاب الله طاغوتاً). وقال بعض أهل العلم: الطاغوت هو كلُّ رأس في الضلالة. ويجمع هذا كله: أن **الطاغوت** كلُّ مُعْظَمٍ أو مُتَعْظَمٍ بالباطل يُطغى بسببه. والله تعالى أعلم.

□ قوله: (وَالطَّوَاعِيتُ كَثِيرُونَ، وَرُؤُوسُهُمْ خَمْسَةٌ:

- إِبْلِيسُ لَعَنَهُ اللَّهُ.
- وَمَنْ عِبْدٌ وَهُوَ رَاضٍ.
- وَمَنْ ادَّعَى شَيْئاً مِنْ عِلْمِ الْغَيْبِ.
- وَمَنْ دَعَا النَّاسَ إِلَى عِبَادَةِ نَفْسِهِ.
- وَمَنْ حَكَمَ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ).

هذا من كلام الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وقد اختصره هنا، وبسطه في موضع آخر فقال: (اعلم رحمك الله تعالى أنَّ أول ما فرض الله على ابن آدم الكفر بالطاغوت والإيمان بالله، والدليل قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾).

فأما **صفة الكفر بالطاغوت** أن تعتقد بطلان عبادة غير الله وتتركها وتبغضها وتكفر أهلها وتعادهم.

وأما معنى الإيمان بالله أن تعتقد أن الله هو الإله المعبود وحده دون سواه، وتخلص جميع أنواع العبادة كلها لله، وتنفيها عن كل معبود سواه، وتحب أهل الإخلاص وتواليهم، وتبغض أهل الشرك وتعاديهم، وهذه ملة إبراهيم التي سَفِهَ نفسه من رغب عنها. وهذه هي الأسوة التي أخبر الله بها في قوله تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ﴾.

والطاغوت عام في كل ما عُبد من دون الله ورضي بالعبادة من معبود أو متبوع أو مطاع في غير طاعة الله ورسوله فهو طاغوت.

والطواغيت كثيرة ورؤوسهم خمسة:

الأول: الشيطان الداعي إلى عبادة غير الله، والدليل قوله تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾.

الثاني: الحاكم الجائر المغير لأحكام الله، والدليل قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾.

الثالث: الذي يحكم بغير ما أنزل الله، والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾.

الرابع: الذي يدعي علم الغيب من دون الله، والدليل قوله تعالى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا (٢٦) إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا (٢٧)﴾، وقال تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾.

الخامس: الذي يعبد من دون الله وهو راض بالعبادة، والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِّنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾.

واعلم أن الإنسان ما يصير مؤمناً بالله إلا بالكفر بالطاغوت ، والدليل قوله تعالى : ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (١. هـ).

- **والفرق بين الثاني والثالث هنا ، أن الثاني هو الحاكم المتسلط على الناس المغير لأحكام الله ، والثالث يأتي إليه الناس إن رغبوا في حكمه .**
وكلاهما حاكم بغير ما أنزل الله .
وقول الشيخ : (ورؤوسهم خمسة) لا يقتضي حصر الطواغيت في هذه الأصناف الخمسة ، بل هؤلاء أشهرهم وأكثرهم شراً وطغياناً .
وقد اختلف تقريره رحمه الله في عدد هذه الخمسة اختلافاً يسيراً .
والمقصود أن يفهم الطالب معنى الطاغوت في اللغة ، والمراد به في نصوص الكتاب والسنة .

□ هـ : لا إكراه في الدين .

□ قوله : (وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة : ٢٥٦] .

وَهَذَا هُوَ مَعْنَى (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) وَفِي الْحَدِيثِ : «رَأْسُ الْأَمْرِ الْإِسْلَامُ ، وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ ، وَدُرُوءُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ» .

قوله تعالى : ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ أي إن الدين لا إكراه فيه على أحد ، فلا يستطيع أحد من الخلق أن يجبر أحداً على دين لا يرتضيه ؛ لأن الله تعالى لم يجعل للمخلوقين سلطاناً على القلوب .

وقد يسهّر الله الدين تيسيراً عظيماً ؛

﴿ **فمن اختار الإيمان** فلا يستطيع أن يمنعه منه أحد من الخلق بإكراه على الكفر، لأن الدخول في الدين أصله الاعتقاد والقول ولو بالإسرار والإخفاء وهذا أمر لا سلطان لأحد من الخلق على منعه والإكراه عليه.

﴿ **وأما من اختار الكفر** على الإيمان فهو كافر، وإن كان مستضعفاً في الظاهر. ولذلك فإن المستضعفين الذين قصَّ الله خبرهم في القرآن في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُؤْمِنَ بِهِذَا الْقُرْآنَ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ (٣١) قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ (٣٢) وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَندَادًا وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾

فهؤلاء المستضعفون قد جاءهم الهدى وعرفوه ولم يؤمنوا به، بل اختاروا طاعة الطواغيت المستكبرين اختياراً قلبياً منهم، وإلا فإن هؤلاء الطواغيت لا سلطان لهم على قلوب المستضعفين، ولا يستطيعون أن يكرهوهم على اختيار الكفر.

ولو أن هؤلاء المستضعفين آمنوا بقلوبهم لجعل الله لهم مخرجاً ولأعزهم ونصرهم، ولكنهم اختاروا الكفر إرضاء للطواغيت فاستحقوا العذاب. ولذلك قال لهم المستكبرون باستنكار: ﴿أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ﴾؟ فإنه لا سلطان لهم على قلوب المستضعفين يصدونهم به عن قبول الهدى.

وقال الله تعالى لنبيه: ﴿أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾، وهذا استفهام إنكاري، أي لا تستطيع أن تكره الناس على الإيمان.

فمن تمام عدل الله عز وجل أن جعل الاختيار بين الكفر والإيمان لا إكراه لأحد فيه.

﴿ **إذا تبين هذا فقله تعالى:** ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ يشمل معاني لا تعارض بينها:

المعنى الأول: أنه لا يقع إكراه من مخلوق لمخلوق على الدين، كما سبق بيانه.

المعنى الثاني: أنها خبر بمعنى النهي أي: لا يجوز أن يُكره أحدٌ بتهديد بضرب أو قتل أو حبس أو نحوه على الدخول في دين الإسلام.

وهذا الإكراه إنما هو فعل ما يستطيعه المُكرِه من التهديد والتعذيب؛ فإذا هدد أو عذب حتى يوافقه المُكرِه ظاهراً فهو مُكرِه، فُتْهِىَ عن هذا، وهو لا يقتضي الإكراه على الاختيار القلبي، لأن المُكرِه قد يوافق ظاهراً ويخالف باطناً.

وهذا لا يعارضه قتال الكفار وإقامة الحد على المرتد فإن الكفار يقتلون على منعهم تبليغ الدعوة وتمكين المؤمنين من الأرض ليحكموا فيها بما أنزل الله ويحطّموا ما أمر الله بتحطيمه من الطواغيت التي تعبد من دون الله عز وجل فمن دافع عن هذه الطواغيت وقاتل في سبيلها استحق القتال، وليس قتاله على أن يكره على أن يدخل في دين الإسلام كرهاً. وكذلك المرتد يقتل تنفيذاً لحكم الله عز وجل فيه.

المعنى الثالث: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ أي لا يجوز للمؤمنين أن يكره بعضهم بعضاً على أي أمر من الأمور، فمعنى لا إكراه في الدين أي لا يجوز الإكراه في دين الإسلام. لأن الإكراه إضرار، والإضرار محرم.

وقد روى ابن أبي شيبة عن حنش بن الحارث النخعي عن أبيه أنه قدم المدينة مع قومه فأمرهم عمر بالمسير إلى العراق مدداً للمسلمين في القادسية؛ فقالوا: لا بل نسير إلى الشام، فقال عمر: لا بل إلى العراق فإنني قد رضيتها لكم، فجادلوه حتى قال بعضهم: يا أمير المؤمنين لا إكراه في الدين.

❖ قوله تعالى: ﴿قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ أي إن طريق الرشd والصواب والخير قد تبين بآناً لا لبس فيه، وكذلك طريق الغي والشر والفساد.

❖ ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ﴾ أي يكفر بما يُعبد من دون الله، ويقوم بما يقتضيه واجب الكفر من البراءة من الكفر وأهله.

❖ ﴿وَيُؤْمِنُ بِاللَّهِ﴾ أي يوحد الله عز وجل ويسلم وجهه وقلبه له.

❖ ﴿فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾

العروة هي ما يُسْتَمْسَكُ به لطلب النجاة.

وأصل هذا اللفظ أن الدلو توثق بعروة تمسكها ؛ فإذا أُلْقِيَت الدلو في البئر وامتلاّت ماءً جذبها المستسقي بحبل قد ربطه في عروة الدلو فإن كانت تلك العروة وثيقة جيدة والحبل جيداً استخرج الدلو ، وإن كانت العروة غير وثيقة انفصمت العروة فسقط الدلو .
قال امرؤ القيس :

كالدلو ثبت عُراها وهي موقرة إذ خانها ودم منها وتكرب
الكربُ : حبل يشدُّ به وسط العراقي ، والعراقي : خشبتان متقاطعتان على شكل صليب يوضع على فم الدلو ، ويكون طرف كل خشبة في أذن من آذان الدلو الأربعة .
والوِذم سيور تربط آذان الدلو بالعراقي ، واحدها : وَدْمَةٌ .
فالعروة اسم لهذه الأجزاء التي تتكون منها ، وهي التي تمسك الدلو .
يقال : عروة وثيقة ، إذا كانت قوية مأمونة ؛ فتجمع بين القوة والأمان بحيث يوثق بها ويُطمئنُ إليها .

ويقال : عروة أوثق من عروة ؛ على التفاضل في صفتي القوة والأمان .
والعروة الوثقى هي التي بلغت الغاية في القوة والأمان فلا أوثق منها .
فإذا كانت العروة وثقى ، والاستمساك جيداً نجا المستمسك بهذه العروة من الهلاك
فهذه العروة الوثقى التي وصفها الله عز وجل بقوله : ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾ هي أوثق أسباب النجاة وأفضلها وأجلها ، بل لا أفضل منها ، ولا ينجو العبد بغيرها .

وهي أن يؤمن بالله عز وجل ويكفر بالطاغوت .
كما يقال : الطريقة المثلى ، أي التي لا أمثل منها ، ولا أحسن .
فالله تعالى يريد أن يقطع على الناس البحث عن أسباب نجاة أخرى ؛ فإذا علم العبد أن هذا السبب هو أعظم الأسباب وأنفع الأسباب لم يلتفت قلبه إلى غيره .
❖ ﴿فَقَدِ اسْتَمْسَكَ﴾

لفظ الاستمسك فيه بناء لغوي أقوى دلالة من المسك، لأنه يجمع معاني قوة التمسك والحرص والمداومة عليه.

فما دام العبد مستمسكاً بهذه العروة؛ فالله تعالى ضامن له ألا تنفصم، وألا تنقطع به دون بلوغ ما يأمل من النجاة والفوز الكبير.

❖ قوله: ﴿لَا انْفِصَامَ لَهَا﴾ تأكيد على أن هذه العروة لا تنفصم أبداً، ولا تنقطع أجزاؤها، وفي هذا ضمان عظيم لمن استمسك بهذه العروة الوثقى ألا يُخذل من جهتها أبداً.

قال الله تعالى: ﴿لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا﴾ دلّ بمنطوقه على أن كل من جعل مع الله إلهاً آخر فهو مذموم مخذول. ودل بمفهومه على أن من وحّد الله تعالى فلا يكون مذموماً ولا مخذولاً. فسيبل النجاة من الدم والخذلان هو توحيد الله عز وجل.

وإنما يقع العبد في شيء من الدم والخذلان إذا ضعف تحقيقه للتوحيد. فأما إذا أشرك بالله جل وعلا فقد أحاط به الدم والخذلان والخسران من كل جانب، والعياذ بالله.

ومن حقق التوحيد فلا يخاف من الدم ولا الخذلان؛ لأن هذه العروة التي استمسك بها عروة وثقى قد ضمن الله تعالى لمن استمسك بها أن لا تنفصم به.

❖ فقله تعالى: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ﴾ بيان لمعنى تحقيق الاستمسك بالعروة الوثقى، لأن حرف (قد) يفيد التحقيق.

❖ ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ أي سميع مجيب لدعاء من يدعوه مخلصاً له الدين، ﴿عَلِيمٌ﴾ بما في قلوبهم من التوحيد والإسلام.

وهذا يقتضي عنايته جل وعلا بعباده، وأنه لا يخفى عليه شيء من أمرهم.

فانظر كيف اقتلعت هذه الآية جذور الخوف من الخذلان والهلاك من قلوب أولياء الله المؤمنين الموحدين فاطمأنت قلوبهم بذكر الله ومعرفته والإيمان به ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾.

□ قوله: (وَهَذَا هُوَ مَعْنَى (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)).

أي: أن قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾ يدل على معنى لا إله إلا الله؛ لأن الكفر بالطاغوت يعني نفي جميع ما يعبد من دون الله عز وجل والكفر به وإنكاره.

والإيمان بالله يتضمن عبادته وحده لا شريك له.

فالذي لا يخلص العبادة لله لا يكون مؤمناً بالله جل وعلا.

والذي لا يكفر بالطاغوت لا يكون نافياً لجميع ما يعبد من دون الله، ولا مخلصاً العبادة لله تعالى.

وفي الصحيحين من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لوفد عبد القيس: «أمركم بالإيمان بالله وحده».

فالإيمان بالله وحده يقتضي الإيمان به والكفر بالطاغوت وهو جميع ما يعبد من دون الله عز وجل.

➤ وهذه مسألة مهمة جداً لطالب العلم، وقد كررها الشيخ هنا لأهميتها، ولو لم يخرج الطالب من دراسته لهذا المتن إلا بفقاه هذه المسألة لكان في ذلك خير كثير؛ فتفطن لهذه المسألة جيداً.

فإن تفسير التوحيد لا بد فيه من جمع أمرين:

الأمر الأول: نفي جميع ما يعبد من دون الله عز وجل.

الأمر الثاني: إفراد الله تعالى بالعبادة.

ف(لا إله) نفي لجميع ما يعبد، (إلا الله) إثبات العبادة لله وحده.

فهو معنى قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾
 وقوله: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾
 وقوله: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ (٢٦) إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ﴾

وقوله: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ (١) لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ (٢) وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٣)﴾

- وقوله: ﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ﴾

- وقوله: ﴿إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾

وقوله: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ❖ اللَّهُ الصَّمَدُ﴾

﴿هُوَ اللَّهُ﴾ أسلوب حصر في لسان العرب.

﴿أَحَدٌ﴾ أي فرد متفرد لا شريك له ولا إله معه.

﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ أي الذي يُصمَد إليه فيدعى لقضاء الحوائج وجلب النفع ودفع الضر.

﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ رد على اليهود والنصارى وبعض مشركي العرب

فأما اليهود والنصارى فقالوا: ﴿نَحْنُ أَنْبَاءُ اللَّهِ وَآحِبَّاءُهُ﴾

ومنهم من زعم أن المسيح ابن الله، ومنهم من زعم أن عزيز ابن الله.

وزعم بعض مشركي العرب أن الملائكة بنات الله

تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً.

﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ أي ليس له نظير يكافئه ولا صاحبة له.

□ وفي صحيح البخاري من حديث معمر بن همام عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال

رسول الله صلى الله عليه وسلم: «قال الله: (كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك، وشتمني

ولم يكن له ذلك:

- أما تكذبه إياي فقلوله لن يعيدني كما بداني، وليس أول الخلق بأهون علي من

إعادته.

- وأما شتمه إياي فقلوله اتخذ الله ولداً، وأنا الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن لي

كفوا أحد»

وفي مسند الإمام أحمد والسنن الأربعة من حديث مالك بن مغول عن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال : سمع النبي صلى الله عليه وسلم رجلاً يدعو وهو يقول : (اللهم إني أسألك بأني أشهد أنك أنت الله الذي لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد).

فقال : «والذي نفسي بيده لقد سأل الله باسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب ، وإذا سئل به أعطى».

فكان هذا الاسم الأعظم متضمناً للتوحيد.

ولذلك يجب على طالب العلم أن يحذر من قبول التفسيرات الخاطئة لكلمة التوحيد، وأكثر الأخطاء شيوعاً في تفسيرها :

١ : قصر معناها على توحيد الربوبية أو بعض معاني الربوبية ، كمن يزعم أن معناها لا خالق إلا الله ولا رازق إلا الله ونحو ذلك من معاني الربوبية.

٢ : قصر معناها على بعض معاني توحيد الأسماء والصفات كمن يقول معناها أنه واحد في ذاته لا قسيم له وواحد في صفاته لا شبيه له وواحد في أفعاله لا شريك له.

٣ : دعوى أن معناها مسألة خلافية ولا ينبغي عليها التفريق بين الكفر والإيمان.

وهذه التفسيرات الخاطئة قد يجدها طالب العلم لدى بعض أهل الفرق الضالة ، وبعض من يلبس الحق بالباطل ليضل الناس بغير علم ، كما كان يفعل بعض علماء السوء الذين ضل بسببهم كثير من الناس فكانوا يلبسون الحق بالباطل ويأكلون فريقاً من أموال الناس بالإثم وهم يعلمون ، ويدلسون على الناس ، ويسارعون إلى طاعة الحكام المبدلين لشرع الله فيطيعونهم في تبديل الدين وتغيير أحكام الله ، ويلبسون على الناس ويوهمونهم أن هذا هو الدين الصحيح.

نسأل الله تعالى السلامة والعافية.

□ قوله: **(وَيْفِي الْحَدِيثِ: «رَأْسُ الْأَمْرِ الْإِسْلَامُ، وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ، وَدُرُوءُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ».)**

هذا جزء من حديث معاذ بن جبل وقد سبق ذكره في درس الإحسان.

والحديث رواه الإمام أحمد والترمذي وابن ماجه وغيرهم

- **(والأمر)** واحد الأمور، وهو من أكثر الألفاظ العامة استعمالاً في لسان العرب، بل إنه يعبر به عن أي شأن.

والمرء من شأنه أنه يأتمر في نفسه أموراً، أي يجعل لنفسه أموراً وشؤوناً يهتم بها ويسعى لها

كما قال امرؤ القيس: ويعدو على المرء ما يأتمر

أي: ما يهتم به من الأمور؛ فرمما كان هلاكه في تدبيره لأمره.

- وقوله: **(رأس الأمر) في معناه قولان لأهل العلم:**

القول الأول: ما ذهب إليه بعض الشراح من أن المراد بالأمر هنا ما بعث الله به نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم، وأن رأس ذلك الأمر الإسلام.

فهو كمثل الشيء الذي له جذع ورأس فيكون الرأس هو الإسلام.

وهذا التفسير لا يصح لأن كل ما بعث به النبي صلى الله عليه وسلم فهو من الإسلام.

القول الثاني: أن رأس الأمر هو أصله ومعظمه؛ فإذا ذهب ذهب الأمر كله

كما يقال: رأس المال؛ فمن ذهب رأس ماله؛ بقي مفلساً لا مال له.

وهذا القول أشار إليه شيخ الإسلام ابن تيمية وقال به ابن عاشور.

وهذا ظاهر في الأمور المعنوية التي تضاف إلى الرأس كما يقال: رأس الحكمة مخافة الله؛

أي أصلها ومعظمها؛ ورأس العلم خشية الله.

ويطلق لفظ الرأس على معانٍ في لسان العرب يدل عليها السياق والاستعمال بالإفراد

والتركيب

فيقال: رأس الجبل، أي طرفه.

ورأس الجبل أعلاه.

وعصا لها رأسان أي شعبتان .

ورأس الحول آخره.

قال الرياحي :

وماذا يدري الشعراء مني

أخو خمسين مكتمل أشدي

وقد جاوزت رأس الأربعين

وحسبني مداورة الشؤون

فإطلاق لفظ الرأس في قوله (رأس الأمر) ليس نظيراً لإطلاقه في رأس الحيوان ، ولا هو بمعنى الطرف ، ولا آخر الشيء ، وإنما هو أصله ومعظمه.

والمقصود أن قوله صلى الله عليه وسلم : «رأس الأمر الإسلام» أي أن أصل أمر الإنسان وما خلق من أجله هو الإسلام ؛ فإذا ذهب إسلام المرء ذهب أمره كله ، وأصبح على غير شيء ، فمئات أموره إذا لم يسلم لا اعتبار لها ، ولا تنفعه عند الله.

كما قال تعالى : ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ مِنْ رَّبِّكُمْ﴾

فهؤلاء ليسوا على شيء لأنهم ضيعوا رأس الأمر وهو الإسلام.

وقال تعالى في الكفار : ﴿وَقَدْ مَنَّا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَثْوِراً﴾

وقال المخبل السعدي :

إنني رأيت الأمر أرشده

أي : ما ياتمه الإنسان في نفسه ويهم به ويسعى له ، أرشده تقوى الإله ، وشره الإثم.

فأرشد الأمر تقوى الله ، وهو من هذا الباب فإن ما خالف التقوى فليس فيه رشد.

قوله : «وعموده الصلاة» أي هي عمود الإسلام ، شأنها عظيم فلا حظ في الإسلام لمن ترك الصلاة ، وإذا سقط العمود سقط ما اعتمد عليه ، وهذا يبين لك أن شعائر الإسلام معتمدة على الصلاة فإذا صلحت الصلاة صلحت أعمال العبد ، وإذا فسدت فسدت عليه

أعماله، فلا ينتفع بركاة ولا صيام ولا حج ولا غيره؛ إذ كانت الصلة بينه وبين الله منقطعة بتضييعه للصلاة.

ولذلك كان أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة من أعماله الصلاة.

قال حريث بن قبيصة: قدمت المدينة فقلت: (اللهم يسر لي جليسا صالحا)

قال: فجلست إلى أبي هريرة؛ فقلت: إني سألت الله أن يرزقني جليسا صالحا فحدثني بحديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم لعل الله أن ينفعني به.

فقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله صلاته؛ فإن صلحت فقد أفلح وأنجح، وإن فسدت فقد خاب وخسر؛ فإن انتقص من فريضته شيء قال الرب عز وجل: انظروا هل لعبدي من تطوع؟ فيكمل بها ما انتقص من الفريضة، ثم يكون سائر عمله على ذلك». رواه الترمذي والنسائي وصححه الألباني.

وروى الإمام مالك في الموطأ أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كتب إلى عماله - أي الذين يستعملهم على أمور المسلمين ويوليهم عليها - : (إن أهم أمركم عندي الصلاة؛ فمن حفظها فقد حفظ دينه، ومن ضيعها فهو لما سواها أضيع).

- قوله: «وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله» أي أعلاه وأشرفه، وهو مظهر عزه وقوته وزينته.

وفي صحيح البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيله، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض؛ فإذا سألتهم الله فسألوه الفردوس؛ فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة، وفوقه عرش الرحمن، ومنه تفجر أنهار الجنة».

- وقد تضمن هذا الحديث على وجازته بيان ما يكون للإنسان به شأن عند الله تعالى، وهو الإسلام.

وهذا الإسلام له عمود وهو الصلاة من أداها حفظ دينه، ومن ضيعها ضيع أمره، وفي الصلاة صلاح نفسه، والجهد فيه السعي لإصلاح غيره، وهذا شأن المسلم الذي أحسن إسلامه أنه يُصلح نفسه ويسعى لإصلاح غيره. فالصلاة تنبيه على ما يصلح العبد من الأعمال، والجهد على ما يصلح غيره.

□ قوله: (وَاللَّهُ أَعْلَمُ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ).

رد العلم إلى عالمه، وختم بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم؛ لأنه أدعى للقبول، والله تعالى أعلم.

اللَّهُمَّ تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ
وَاعْفُ رَحْمَةً لَنَا وَارْحَمْنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.
اللَّهُمَّ ادْخُلْنَا فِي رَحْمَةٍ مِنْكَ وَفَضْلٍ وَاهْدِنَا إِلَيْكَ صِرَاطاً مُسْتَقِيماً
وَارْزُقْنَا مِنْ لَدُنْكَ رِزْقاً كَرِيماً
وَعَافِنَا وَاعْفُ عَنَّا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَفُوفُ الْحَلِيمُ.

الرياض

٢٥ شعبان ١٤٣٢ هـ

تمت دروس الدورة ولله الحمد.

أسئلة وتطبيقات على الدروس السابقة (٣)

تمهيد:

هذه الأسئلة مستفادة من وقائع وأسئلة مما يستفتي فيه الناس في مسائل لها صلة بالدروس التي سبقت، وحرصت على أن تكون هذه الأسئلة أقرب إلى صياغة السائلين وعبارات أصحاب الدعوات الباطلة ليتعرف الطالب على موضع الخلل ويرده.

ومما ينبغي التفطن له أن الدعوات الباطلة قد تتضمن بعض الحق فيغتر بها بعض الناس لما فيها من بعض الحق، وبعضهم يعبر عن باطله بعبارات جميلة ورنانة ربما يستحسنها من لا يعرف حقيقتها، وذلك كما يسمي المنافقون أعمالهم التي يعملونها في إفساد الدين إصلاحاً وإحساناً وتوفيقاً، وهذه الألفاظ من الألفاظ المحببة إلى النفوس السوية، لكن حقيقة أعمالهم ليست إصلاحاً ولا إحساناً ولا توفيقاً.

والموقف الصحيح أن يميز المؤمن الحق من الباطل، فيقبل الحق ويرد الباطل، ويراعي المقاصد الشرعية، ولا يقبل حكم أصحاب تلك الدعوات على دعواتهم بالألفاظ الحسنة المحببة حتى يعرف الوصف الشرعي الصحيح لتلك الأعمال.

س١: يطلق بعض المفكرين عبارات مفادها أن الإسلام يحترم الديانات السماوية الأخرى، وأن أتباع هذه الديانات كلهم مؤمنون لا فرق بينهم إلا في اختلاف الشرائع، فكل هذه الأديان جاءت من الله، والإسلام دين المحبة والسلام، والمسلم الحق هو الذي يفتح على الآخرين ويتحاور معهم ويتقبلهم.

ما رأيك في هذه الدعوات؟

س٢: ما تقول فيمن يقول: إن الحدود والتعزيرات التي جاء بها الإسلام حق وعدل لكنها خاصة بالزمان الذي بعث فيه النبي صلى الله عليه وسلم لأن تلك العقوبات كانت شائعة في ذلك الزمان، وأما في العصر الحاضر مع التطور والتقدم المدني ظهرت وسائل

للعقاب أقل وحشية وأكثر ملاءمة لروح الإسلام وسماحته ؛ فالأخذ بها أولى تطبيقاً للمبادئ العامة للشريعة؟

س٣: أيهما أفضل إطالة الصلاة أم تخفيفها؟

س٤: تاجر مسلم يريد أن يبلغ مرتبة الإحسان في المعاملة ويخشى أن يخسر في تجارته فما توجيهك له؟

س٥: رجل أساء إلى مسلم إساءة بالغة ثم ندم وأراد التوبة ؛ وخشي أنه إن أخبره بإساءته وطلب سماحه أن يترتب على ذلك شر كبير، فكيف يصنع حتى يحقق التوبة ويتحلل من تبعه إساءته؟

وصايا لمن اجتاز دورة شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

الحمد لله الذي منّ علينا بإتمام شرح رسالة (ثلاثة الأصول وأدلتها) لشيخ الإسلام المجدد محمد بن عبد الوهاب التميمي رحمه الله.

وقد تبين بدراسة مباحث هذه الرسالة القيمة اشتغالها على أهم مسائل أصول الدين، وتبين حسن معرفة مؤلفها بانتقاء تلك المباحث وترتيبها.

ورسالة (ثلاثة الأصول) رسالة وجيزة وسهلة العبارات، وأكثر ما اشتملت عليه أدلة من الكتاب والسنة، وكان يكفي الطالب لفهم هذه الرسالة شرح يسير يوضح ما يحتاج إلى توضيحه بعبارات موجزة لكنني حرصت على التوسع بقدر في الشرح ليكون هذا الشرح لبنة في إعداد طلاب علم مؤهلين للدعوة إلى الله تعالى لهم نصيب وافر من التأصيل العلمي وفهم مسائل أصول الدين بأدلتها.

إضافة إلى أن هذه المباحث التي اشتملت عليها هذه الرسالة هي من المسائل المهمة في الاعتقاد بل هي من أصول الدين، وهي مسائل يحتاج الطالب فيها إلى جمع أهم الأدلة والآثار عن الصحابة والتابعين وانتقاء أهم النقول عن العلماء في هذه المسائل ومعرفة القواعد والتقسيمات المعينة على فهم تلك المسائل لتكون عُدّةً للطالب في دراستها وتدريسها مستقبلاً إن شاء الله.

وأنا أوصي طلاب العلم المتخرجين من هذه الدورة بوصايا أمل منهم العناية بها :

أولاً : الدعوة إلى دين الإسلام قائمة على فقه مسائل الاعتقاد ، وطالب علم الاعتقاد بحاجة إلى علمين مهمين من قصر فيهما أو في أحدهما أثر تقصيره في الانتفاع من علمه :

العلم الأول : علم السلوك، وهو علم يُعنى بتزكية النفس وإحسان عبادة الله عز وجل ، وهذا العلم قد ألفت فيه رسائل وكتب جليلة القدر عظيمة النفع فينبغي لطالب العلم أن يعتني بها.

العلم الآخر: فقه الدعوة إلى الله تعالى، وهذا أمر يحتاجه طالب العلم كثيراً؛ فإن معرفته بأحكام المسائل وأدلتها ينبغي أن يصاحبه معرفة بفقه الدعوة وحسن تبليغها والحذر من الآفات والأخطاء التي قد يكون لها آثار غير محمودة على طالب العلم وعلى دعوته.

وإذا كمل طالب العلم هذه المقامات الثلاث : فقه مسائل الاعتقاد، وفقه السلوك، وفقه الدعوة كان إماماً من أئمة الهدى، ومن الدعاة إلى الله على بصيرة، ومن العلماء الربانيين.

فإنه يدعو إلى ما عرف صحته من الحق بأدلتها، ويرد الباطل ويبين بطلانه ويحذر منه. وهو في نفسه قائم بما يقتضيه فقه مسائل العبادات من حسن التعبّد لله جل وعلا والعمل بالعلم النافع.

وفي معاملته لغيره قائم بما يقتضيه فقه الدعوة إلى الله من الحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن.

فيكون عالماً صالحاً في نفسه ساعياً في إصلاح غيره. والأمة بحاجة ماسة إلى هؤلاء ؛ فهم عدة الأمة.

ثانياً : دراسة المتون العلمية لها أهميتها المعروفة في التأصيل العلمي، لكنها بحاجة إلى روافد ترفدها من القراءة المنظمة في الكتب والرسائل المهمة.

وسأنتقي لكم منتقيات من الرسائل المختصرة والكتب القيمة، وأضعها في موضوعات متتابعة بعد هذا الموضوع.

لتكون عوناً للطالب على فهم مسائل التوحيد، والتعرف على مناهج الأئمة في عرض مسائل التوحيد وتدريسها، والدعوة إليها، وتوضيح الحجج وكشف الشبه التي يثيرها بعض الجهلة وعلماء السوء.

وما كان في هذه الرسائل من تكرار فأوصي أن يقرأه الطالب قراءة سريعة تكون كالذاكرة له ، وما كان فيها من مباحث إضافية أو تطبيقات دعوية وقف عندها وقفة تأمل ودراسة حتى يحسن معرفتها .
فإن أشكل عليه شيء بعد أمكنه السؤال عنه .

ثالثاً: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ﴾ ، فلا يكن همّ الطالب الاقتصار على فهم المعلومات التي تلقى إليه في الدروس ، بل ينبغي أن يكون همّه مع ذلك التعرف على ما يمكنه بذله للدعوة إلى الله تعالى بصيرة ، والتعرف على الأبواب التي يحتاج إلى فقهها جيداً للدعوة في مجتمعه ، وهذا يكون في كل مجتمع بحسبه ، فمن كان في مجتمعه مظاهر للشرك وعبادة غير الله عز وجل ، فليتقفه في مسائل الاعتقاد ويولي ما يتصل بحجج التوحيد وكشف شبهات المشركين عناية كبيرة ، ويبدأ بما يتيسر له من الأسباب .
ومن كان في مجتمع يلاحظ فيه وجود دعوات للتنصير فينبغي له أن يعتني بما يتصل بهذا الباب من مسائل ، ويدعو إلى الله بما يتيسر له من الأسباب .
وهكذا كل من وجد في مجتمعه حاجة إلى فقه باب من أبواب الاعتقاد فينبغي له أن يولي ذلك الباب عناية بفقه مسأله ، ويقوم بواجبه من الدعوة إلى الله عز وجل في ذلك .